ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من شخوص المأمون من سَلَغُوس إلى الرّقة ، وقتله بها ابنَ أخت الداري .

وفيها أمر بتفريغ الرّافقة لينزلها حشمه ، فضجّ من ذلك أهلها فأعفاهم .

وفيها وجّه المأمون ابنَه العباس إلى أرض الرّوم ، وأمره بنزول الطُّوانة وبنائها ، وكان قد وجّه الفَعَلَة والفروض ، فابتدأ البناء ، وبناها ميلاً فى ١١١٢/٣
ميل ، وجعل سورَها على ثلاثة فراسخ ، وجعل لها أربعة أبواب ، وبنى على كلّ باب حصْنًا ؛ وكان توجيهُه ابنَه العباس فى ذلك فى أوّل يوم من جمادى .

وكتب إلى أخيه أبى إسحاق بن الرّشيد ؛ أنه قد فرض على جُند دمشق وحِمْص والأردُنّ وفلسطين أربعة آلاف رجل ، وأنه يجرى على الفارس مائة درهم ، وعلى الرّاجل أربعين درهمًا ، وفرضَ على مصر فَرْضًا ، وكتب إلى العباس بمَنْ فَرضَ على قِنَّسرين والجزيرة ، وإلى إسحاق بن إبراهيم بمن فرض على أهل بغداد وهم ألفا رجل ، وخرج بعضهم حتى وافَى طُوانة ونزلها مع العباس.

* * *

[ذكر خبر المحنة بالقرآن]

وفى هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم فى امتحان القضاة والمحدّثين ، وأمر بإشخاص جماعة منهم إليه إلى الرّقة ؛ وكان ذلك أوّل كتاب كتب فى ذلك ، ونسخة كتابه إليه :

أما بعد ؛ فإن حقّ الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهادُ فى إقامة دين الله الذى استحفظهم ، ومواريث النبوّة التى أورثهم ، وأثْرِ العلم الذى استودعهم ، والعملُ بالحقّ فى رعيّتهم والتشمير لطاعة الله فيهم ، واللهَ

يسألَ أميرُ المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرّشد وصريمته(١) والإقساط فيما ولآه الله
من رعيّته برحمته ومنّته . وقد عرف أمير المؤمنين أنّ الجمهور الأعظم والسواد
٣/١١١٣ الأكبر من حَشْو الرعية وسفْلة العامة ممن لا نظَر له ولا روّية ولا استدلال
له بدلالة الله وهدايته والاستضاءة بنور العلم وبرهانه فى جميع الأقطار والآفاق
أهلُ جهالة بالله، وعمًى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به.
ونكوبٍ عن واضحات أعلامه وواجب سبيله ، وقصورٍ أن يقدروا الله حقّ
قدره ، ويعرفوه كنهَ معرفته، ويفرّقوا بينه وبين خلقه، لضعف آرائهم ونقص
عقولهم وجفائهم عن التفكّر والتذكر ؛ وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى
وبين ما أنزل من القرآن، فأطبقوا مجتمعين ،واتّفقوا غير متعاجمين ، على أنه قديم
أوّل لم يخلقه الله ويُحْدِثه ويخترعه ، وقد قال الله عز وجل فى محكم كتابه
الذى جعله لما فى الصدور شفاءً ، وللمؤمنين رحمةً وهدًى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ
قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (٢) ، فكلُّ ما جعله الله فقد خلقه، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى
خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾(٣) ، وقال عزّ وجلّ :
﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾(٤)، فأخبر أنه قصص لأمور
٣/١١١٤ أحدثه بعدها وتلا به متقدّمها ، وقال : ﴿ الر * كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ
فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(٥)، وكل محكَمٍ مفصَّل فله محكِمٍ مفصِّل،
والله محكِم كتابه ومفصله ؛ فهو خالقه ومبتدعه .

ثم هم الذين جادلوا بالباطل فدعوا إلى قولهم، ونسبوا أنفسهم إلى السنة،وفى
كلّ فصل من كتاب الله قصَص من تلاوته مبطل قولهم، ومكذّب دعواهم، يرد
عليهم قولهم ونِحْلتهم . ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحقّ والدين والجماعة،
وأن مَنْ سواهم أهل الباطل والكفر والفُرْقة ، فاستطالوا بذلك على النّاس،
وغرّوا به الجهّال حتى مال قوم من أهل السَّمْت الكاذب ، والتخشع لغير الله،
والتقشّف لغير الدين إلى موافقتهم عليه ، ومواطأتهم على سيئ آرائهم، تزيّناً

(١) الصريمة : العزيمة وقطع الأمر ، وفى ف : « وصريمة » .
(٢) سورة الزخرف ٣ .
(٣) سورة الأنعام ١
(٤) سورة طه ٩٩ .
(٥) سورة هود ١ ، ٢ .

بذلك عندهم وتصنعاً للرياسة والعدالة فيهم ، فتركوا الحق إلى باطلهم ، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالتهم ، فقبلت بتزكيتهم لهم شهادتهم ، ونفذت أحكام الكتاب بهم على دَغَل دينهم ، ونَغَل أديمهم ، وفساد نياتهم ويقينهم. وكان ذلك غايتهم التى إليها أجروا ، وإياها طلبوا فى متابعتهم والكذب على مولاهم ، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ألاّ يقولوا على الله إلا الحقّ ، ودرسوا ١١١٥/٣
ما فيه ، أولئك الذين أصمّهم الله وأعمى أبصارهم ، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(١) .

فرأى أمير المؤمنين أنّ أولئك شرُّ الأمة ورءوس الضلالة ، المنقوصون من التوحيد حظًّا ، والمخسوسون من الإيمان نصيباً ، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ولسان إبليس الناطق فى أوليائه ، والهائل على أعدائه ؛ من أهل دين الله ، وأحقّ من يُتّهم فى صدقه ، وتطرح شهادته ، لا يوثَق بقوله ولا عمله ؛ فإنه لا عمل إلا بعد يقين ، ولا يقينَ إلاّ بعد استكمال حقيقة الإسلام ، وإخلاص التوحيد ، ومن عَميَ عن رُشْده وحظّه من الإيمان بالله وبتوحيده ؛ كان عمّا سوى ذلك من عمله والقصد فى شهادته أعمَى وأضلّ سبيلا . ولعمرُ أمير المؤمنين إنّ أحجى(٢) الناس بالكذب فى قوله ، وتخرّص الباطل فى شهادته ، من كذب على الله ووحيه ، ولم يعرف الله حقيقة معرفته ، وإنّ أولاهم بردّ شهادته فى حكم الله ودينه من ردّ شهادة الله على كتابه ، وبَهت حق الله بباطله .

فاجمعْ من بحضْرتك من القُضاة ، واقرأ عليهم كتابَ أمير المؤمنين هذا إليك ، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون وتكشيفهم عما يعتقدون ، فى خلق الله القرآن ١١١٦/٣
وإحداثه ، وأعلمهم أنّ أمير المؤمنين غير مستعين فى عمله ، ولا واثق فيما قلده الله ، واستحفظه من أمور رعيّته بمن لا يوثَق بدينه وخلوص توحيده ويقينه ؛ فإذا أقرّوا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه ، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة . فمرهم بنصّ(٣) من يحضُرهم من الشهود على الناس ومسألتهم عن علمهم فى القرآن ، وترك إثبات شهادة من لم يقرّ أنه مخلوق محدَث ولم يره ، والامتناع من توقيعها

(١) سورة محمد ٢٤ . (٢) أحجى : أحق وأجدر .
(٣) نصه : استقصى مسألته عن الشيء .

عنده . واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك فى مسألتهم ؛ والأمر لهم بمثل ذلك ؛ ثم أشرف عليهم وتَفَقَّد آثارهم حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر فى الدّين والإخلاص للتوحيد [1] ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون فى ذلك . إن شاء الله .

وكتب فى شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة ومائتين .

وكتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم فى إشخاص سبعة نفر ، منهم محمد ابن سعد كاتب الواقدىّ ، وأبو مسلم مستملى يزيد بن هارون ، ويحيى بن معين ، وزهير بن حرب أبو خيثمة ، وإسماعيل بن داود ، وإسماعيل بن أبى مسعود ، وأحمد بن الدَّوْرَقىّ ؛ فأشخصوا إليه ، فامتحنهم وسألهم عن خلْق القرآن ، فأجابوا جميعاً إن القرآن مخلوق ، فأشخصهم إلى مدينة السلام
٣/١١١٧ وأحضرهم إسحاق بن إبراهيم دارَه ، فشهر أمرهم وقولهم بحضْرة الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث ، فأقرّوا بمثل ما أجابوا به المأمون ، فخلّى سبيلهم . وكان ما فعل من ذلك إسحاق بن إبراهيم بأمر المأمون .

وكتب المأمون بعد ذلك إلى إسحاق بن إبراهيم :

أما بعدُ ، فإنّ من حق الله على خلفائه فى أرضه ، وأمنائه على عباده ، الذين ارتضاهم لإقامة دينه ، وحمّلهم رعايةَ [2] خلْقه وإمضاء حكمه وسُنَنه [3] والائتمام بعدله فى بريته ، أن يُجهدوا لله أنفسهم ، وينصحوا له فيما استحفظهم وقلدهم ، و يدلوا عليه — تبارك اسمه وتعالى — بفضل العلم الذى أودعهم ، والمعرفة التى جعلها فيهم ، ويهدوا إليه من زاغ عنه ، ويردّوا مَنْ أدبر عن أمره ، وينهجوا لرعاياهم سَمْت نجاتهم [4] ، ويقِفوهم [5] على حدود إيمانهم وسبيلِ فوزهم وعصمتهم ويكشفوا لهم مغطّيات أمورهم ومشتبهاتها عليهم ، بما يدفعون الرّيْب [6] عنهم ، ويعود بالضياء والبيِّنة على كافّتهم ، وأن يؤثِروا ذلك من إرشادهم وتبصيرهم ، إذْ كان جامعاً لفنون مصانعهم ، ومنتظماً لحظوظ عاجلتهم

(١) ف : « للتوحيد » .
(٢) ف : « وجعلهم رعاة » .
(٣) سن : « سننه » .
(٤) ف : « سبل نجاته » .
(٥) س : « ويفقهوهم » .
(٦) ف : « مايدفعون به العيب » .

وآجلتهم ، ويتذكّروا ما الله مُرصدٌ من مساءلتهم عمّا حُمّلوه ، ومجازاتهم بما[1] أسلفوه وقدموا عنده ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله وحدَه ، وحسبه الله وكفى به . ومما بيّنه أمير المؤمنين برويّته ، وطالعه بفكره ، فتبيّن عظيم خطره ، ١١١٨/٣
وجليل ما يرجع فى الدين من وكْفه[2] وضرره ، ما ينال المسلمون[3] بينهم من القول فى القرآن الذى جعله الله إمامًا لهم ، وأثرًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفيّه محمد صلى الله عليه وسلم باقيًا لهم ، واشتباهه على كثير منهم ؛ حتى حسن عندهم ، وتزيّن فى عقولهم ألا يكون مخلوقًا ، فتعرّضوا بذلك لدفع خلق الله الذى بان[4] به عن خلقه ، وتفرّد بجلالته ؛ من ابتداع[5] الأشياء كلها بحكمته وإنشائها بقدرته ، والتقدّم عليها بأوليّته[6] التى لا يُبلَغ أولاها ، ولا يدرك مداها ؛ وكان كل شىء دونه خلْقًا من خلقه ، وحدَثًا هو المحدِث له ؛ وإن كان القرآن ناطقًا به ودالًّا عليه ، وقاطعًا للاختلاف فيه ، وضاهَوْا به قول النصارى فى دعائهم فى عيسى بن مريم : إنه ليس بمخلوق ؛ إذ كان كلمة الله ، والله عزّ وجل يقول : ﴿ إنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا ﴾[7] ، وتأويل ذلك أنا خلقناه كما قال جلّ جلاله : ﴿ وَجَعَلَ مِنهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيها ﴾[8] وقال : ﴿ وجَعَلْنَا اللَّيْلَ لباساً وَجَعَلنَا النَّهَارَ مَعاشاً ﴾[9] ، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[10] فسوّى عزّ وجلّ بين القرآن وبين هذه الخلائق التى ١١١٩/٣
ذكرها فى شية الصنعة ، وأخبر أنه جاعله وحده ، فقال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآن مَجِيدٌ فى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾[11] ، فدل ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن ، ولا يحاط إلا بمخلوق ، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾[12] وقال : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ ﴾[13] ،

(١) س : «عما أسلفوه» .
(٢) أى من إيذائه .
(٣) س : «المسلمين» .
(٤) ف : «امتاز» .
(٥) ف : «بابتداع» .
(٦) ف : «بازليته» .
(٧) سورة الزخرف ٣ .
(٨) سورة الأعراف ١٨٩ .
(٩) سورة النبأ ١١ .
(١٠) سورة الأنبياء ٣٠ .
(١١) سورة البروج ٢١-٢٢
(١٢) سورة القيامة ١٦
(١٣) سورة الأنبياء ٢ .

وقال : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بآيَاتِهِ﴾(١) ، وأخبر عن قوم ذمّهم بكذبهم أنهم قالوا : ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيءٍ﴾(٢) ، ثم أكذبهم على لسان رسوله فقال لرسوله : ﴿قُلْ مَنْ أَنزلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسى﴾(٣) ، فسمّى الله تعالى القرآن قرآناً وذكرًا وإيماناً ونورًا وهدًى ومباركاً وعربيًّا وقصصاً ، فقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآن﴾(٤) ، وقال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعتِ الإِنْسُ والجنُّ على أَن يَأْتُوا بِمَثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يأْتُونَ بِمثْلِهِ﴾(٥) ، وقال: ﴿قُلْ فأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفتَرَيَاتٍ﴾(٦) ، وقالَ : ﴿لاَ يأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْه وَلاَ مِنْ خَلْفِه﴾(٧) فجعل له أولا وآخرًا ، ودلّ عليه أنه محدود مخلوق

وقد عظّم هؤلاء الجهلة بقولهم فى القرآن الثَّلْمَ فى دينهم ، والحرجَ فى أمانتهم(٨) ، وسهّلوا السبيلَ لعدوّ الإسلام، واعترفوا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم(٩) حتى عرّفوا ووصفوا خلْقَ الله وفعلَه بالصّفة التى هى لله وحده، ١١٢٠/٣ وشبّهوه(١٠) به، والاشتباهُ أولى بخلقه. وليس يرى أميرُ المؤمنين لمن قال بهذه المقالة حظًّا فى الدّين ، ولا نصيبًا من الإيمان واليقين ، ولا يرى أن يحلّ أحداً منهم محلّ الثقة فى أمانة ، ولا عدالة ولا شهادة(١١) ولا صدق فى قول ولا حكاية، ولا تولية لشىء من أمر الرّعيّة ، وإن ظهر قصْد بعضهم ، وعُرف بالسداد مسدّدٌ فيهم ؛ فإن الفروع مردودة إلى أصولها، ومحمولة فى الحمْد والذمّ عليها ؛ ومن كان جاهلا بأمر دينه الذى أمره الله به من وحدانيته فهو بما سوّاه أعظم جهلا ، وعن الرّشد فى غيره أعمى وأضلّ سبيلا .

فاقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق القاضى كتاب

---

(١) سورة الأنعام ٢١ .
(٢) سورة الأنعام ٩١ .
(٣) سورة الأنعام ٩١ .
(٤) سورة يوسف ٣ .
(٥) سورة الإسراء ٨٨ .
(٦) سورة هود ١٣ .
(٧) سورة فصلت ٤٢ .
(٨) س : « أماناتهم » .
(٩) ف : « أنفسهم » .
(١٠) س : « وشهدوا » .
(١١) ف : « ولا أمانته ولا عدالته ولا شهادته » .

أمير المؤمنين بما كتب به إليك، وانصصها عن[1] علمهما فى القرآن، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين على شىء من أمور المسلمين إلاّ بمن وثق بإخلاصه وتوحيده ، وأنه لا توحيد[2] لمن لم يقرّ بأن القرآن مخلوق[3] فإن قالاَ بقول أمير المؤمنين فى ذلك، فتقدّمْ إليهما فى امتحان مَنْ يحضر مجالسهما بالشّهادات على الحقوق، ونصّهم عن قولهم فى القرآن؛ فمن لم يقلْ منهم إنه مخلوق أبطلا شهادته ، ولم يقطعا حكماً بقوله ؛ وإن ثبت عفافُه بالقصد والسّداد فى أمره . وافعل ذلك بمن فى سائر عملك من القضاة ، وأشرِف عليهم إشرافًا يزيد الله به ذا البصيرة فى بصيرته ، ويمنع المرتاب من إغفال دينه ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك فى ذلك. إن شاء الله .

قال : فأحضر إسحاقُ بن إبراهيم لذلك جماعة من الفقهاء والحكام والمحدّثين ، وأحضر أبا حسان الزيادىّ وبشر بن الوليد الكندىّ وعلىّ بن أبى مقاتل والفضل ابن غانم والذيّال بن الهيثم وَسجّادة والقواريرىّ وأحمدبن حنبل وقُتيبة وسعدويه الواسطىّ وعلىّ بن الجعد وإسحاق بن أبى إسرائيل وابن الهرْش وابن علَيّة الأكبر ويحيى بن عبد الرحمن العمرىّ وشيخاً آخر من ولد عمر بن الخطاب — كان قاضى الرقة — وأبا نصر التّمار وأبا معْمَر القطيعىّ ومحمدبن حاتم بن ميمون ومحمد بن نوح المضروب وابن الفرّخان، وجماعة منهم النضْر بن شُميل وابن علىّ بن عاصم وأبو العوام البزّاز وابن شجاع وعبد الرحمن بن إسحاق؛ فأدخلوا جميعًا على إسحاق ، فقرأ عليهم كتاب المأمون هذا مرتيْن حتى فهموه ، ثم قال لبشر بن الوليد : ما تقولُ فى القرآن ؟ فقال : قد عرّفتُ مقالتى لأمير المؤمنين غير مرّة ؛ قال : فقد تجدّدَ من كتاب أمير المؤمنين ما قد ترى ، فقال : أقول: القرآن كلام الله ، قال : لمْ أسألك عن هذا، أمخلوق هو ؟ ١١٢٢/٣
قال : الله خالق كلّ شىء ، قال: ما القرآن شىء؟ قال : هو شىء ، قال: فمخلوق ؟ قال : ليس بخالق ، قال : ليس أسألك عن هذا، أمخلوق هو ؟ قال : ما أحسِنُ غيرَ ما قلت لك ، وقد استعهدتُ أمير المؤمنين ألاّ أتكلم

---

(١) ف: «على» .
(٢) ف : «ولا توحيد» .
(٣) س : «ليس بمخلوق» .

فيه ، وليس عندى غير ما قلت لك . فأخذ إسحاق بن إبراهيم رقعةً كانت بين يديه ، فقرأها عليه ، ووقّفه عليها ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله أحداً فرْداً ، لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ، ولا يشبهه شيء من خلقه فى معنًى من المعانى ، ولا وجه من الوجوه ، قال : نعم ؛ وقد كنت أضرب الناس على دون هذا ، فقال للكاتب : اكتب ما قال .

ثم قال لعلىّ بن أبى مقاتل : ما تقول يا علىّ ؟ قال : قد سمّعتُ كلامى لأمير المؤمنين فى هذا غير مرّة وما عندى غير ما سمع ، فامتحنه بالرقعة فأقرّ بما فيها ، ثم قال : القرآن مخلوق ؟ قال : القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، قال : هو كلام الله ؛ وإن أمَرَنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا . فقال للكاتب : اكتب مقالته .

ثم قال للذيّال نحواً من مقالته لعلىّ بن أبى مقاتل ، فقال له مثل ذلك.

ثم قال لأبى حسان الزيادىّ : ما عندك ؟ قال : سلْ عما شئت ، فقرأ عليه الرّقعة ووقّفه عليها ، فأقرّ بما فيها ، ثم قال : من لم يقل هذا القول فهو كافر ، فقال : القرآن مخلوق هو ؟ قال : القرآن كلام الله والله خالق كلّ شيء ، وما دون ١١٢٣/٣
الله مخلوق ، وأمير المؤمنين إمامنا وبسببه سمعنا عامّة العلم ، وقد سمع ما لم نسمع ، وعلم ما لم نعلم ، وقد قلّده الله أمرنا ، فصار يقيم حجنا وصلاتنا ، ونؤدى إليه زكاة أموالنا ، ونجاهد معه ، ونرى إمامته إمامةً ، إن أمرَنا ائتمرنا ، وإن نهانا انتهينا ، وإن دعانا أجبنا . قال : القرآن مخلوق هو ؟ فأعاد عليه أبو حسان مقالته ، قال : إن هذه مقالة أمير المؤمنين ، قال : قد تكونُ مقالة أمير المؤمنين ولا يأمرُ بها الناس ولا يدعوهم إليها ؛ وإن أخبرتَنى أن أمير المؤمنين أمرَك أن أقول ، قلتُ ما أمرتَنى به ؛ فإنك الثقة المأمون فيما أبلغتَنى عنه من شيء ؛ فإن أبلغتَنى عنه بشيء صرت إليه ، قال : ما أمرنى أن أبلغك شيئاً. قال علىّ ابن أبى مقاتل : قد يكون قولُه كاختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفرائض والمواريث ، ولم يحملوا الناس عليها ، قال له أبو حسان : ما عندى إلا السمع والطاعة ، فمرنى آتمر ، قال : ما أمرنى أن آمرك[1] ؛ وإنما أمرنى أن أمتحنك[2] .

(١) ا : « آمركم » . (٢) ا : « أمتحنكم » .

ثم عاد إلى أحمد بن حنبل ، فقال له : ما تقول فى القرآن ؟ قال : هو كلام[1] الله ، قال : أمخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد عليها ، فامتحنه بما فى الرقعة[2] ، فلما أتى على « ليس كمثله شىء » ، قال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[3] وأمسك عن لا يشبهه شىء من خلقه فى معنى من المعانى ، ولا وجه من الوجوه ، فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر ، فقال : أصلحك الله ! إنه يقول : سميع من أذن ، بصير من عين ، فقال إسحاق لأحمد بن حنبل : ما معنى قوله[4] : ﴿ سَمِيعٌ ١١٢٤/٣
بَصِيرٌ ﴾ ؟ قال : هو كما وصف نفسه ، قال : فما معناه ؟ قال : لا أدرى ، هو كما وصف نفسه .

ثم دعا بهم رجلا رجلا ، كلهم يقول : القرآن كلام الله ، إلا هؤلاء النفر : قتيبة وعبيدالله بن محمد بن الحسن وابن علية الأكبر وابن البكاء وعبدالمنعم ابن إدريس ابن بنت وهب بن منبه والمظفر بن مرجا ، ورجلا ضريرا ليس من أهل الفقه ، ولا يعرف بشىء منه ، إلا أنه دس فى ذلك الموضع ، ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضى الرقة ، وابن الأحمر ؛ فأما ابن البكاء الأكبر فإنه قال : القرآن مجعول لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[5] والقرآن محدث لقوله : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ ﴾[6] قال له إسحاق : فالمجعول مخلوق ؟ قال : نعم ، قال : فالقرآن مخلوق ؟ قال : لا أقول مخلوق ، ولكنه مجعول ؛ فكتب مقالته .

فلما فرغ من امتحان القوم ، وكتب مقالاتهم[7] اعترض ابن البكاء الأصغر ، فقال : أصلحك الله ! إن هذين القاضيين أئمة ، فلو أمرتهما فأعادا الكلام ! قال له إسحاق : هما ممن يقوم بحجة أمير المؤمنين ، قال : فلو أمرتهما أن يسمعانا مقالتهما ، لنحكى ذلك عنهما ! قال له إسحاق : إن شهدت ١١٢٥/٣

(١) س : « قال : القرآن » .
(٢) ف : « بالرقعة وما فيها » .
(٣) سورة الشورى ١١ .
(٤) ف : « قولك » .
(٥) سورة الزخرف ٣ .
(٦) سورة الأنبياء ٢ .
(٧) ف : « مقالهم » .

عندهما بشهادة ، فستعلم مقالتهما إن شاء الله .

فكتب مقالة القوم رجلارجلا(١) ، ووُجّهت إلى المأمون، فمكث القوم تسعة أيام ؛ ثم دعا بهم وقد ورد كتاب المأمون(٢) جواب كتاب إسحاق بن إبراهيم فى أمرهم، ونسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ؛ فقد بلغ أميرَ المؤمنين كتابُك جواب كتابه كان إليك ، فيما ذهب إليه متصنّعةُ أهل القِبْلة وملتمسو الرّئاسة ، فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة من القول فى القرآن ، وأمرك به أمير المؤمنين من امتحانهم ، وتكشيف أحوالهم وإحلالهم محالّهم . تذكر إحضارك جعفر بن عيسى وعبد الرحمن ابن إسحاق عند ورود كتاب أمير المؤمنين مع من أحضرت ممّن كان ينسب إلى الفقه ، ويعرف بالجلوس للحديث ، وينصب نفسه للفُتْيا بمدينة السلام ، وقراءتك عليهم جميعًا كتابَ أمير المؤمنين ، ومسألتك إياهم عن اعتقادهم فى القرآن ، والدلالة لهم على حظّهم ، وإطباقهم على نفى التشبيه واختلافهم فى القرآن ، وأمرك مَنْ لم يقل منهم إنه مخلوق بالإمساك عن الحديث والفتوى(٣) فى السرّ والعلانية ، وتقدّمك إلى السندىّ وعباس مولى أمير المؤمنين بما تقدّمت به فيهم إلى

١١٢٦/٣ القاضيَيْن بمثل ما مثّل لك أمير المؤمنين من امتحان مَنْ يحضر مجالسهما من الشهود ، وبثّ الكتب إلى القضاة فى النواحى من عملك بالقدوم عليك ، لتحملهم وتمتحنهم على ما حدّه أميرُ المؤمنين ، وتثبيتك فى آخر الكتاب أسماء مَنْ حضر ومقالاتهم ، وفهم أمير المؤمنين ما اقتصصتَ .

وأمير المؤمنين يحمَد الله كثيراً كما هو أهله ، ويسأله أن يصلّيَ على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ويرغبُ إلى الله فى التوفيق لطاعته ، وحسن المعونة على صالح نيّته برحمته . وقد تدبّر أميرُ المؤمنين ما كتبتَ به من أسماء مَنْ سألت عن القرآن ، وما رجع إليك فيه كلّ امرئٍ منهم ، وما شرحت(٤) من مقالتهم .

فأمّا ما قال المغرور بشر بن الوليد فى نفى التشبيه ، وما أمسك عنه من أنّ القرآن

---

(١) ب : « رجل رجل » .
(٢) ف : « أمير المؤمنين » .
(٣) ف : « الفتاوى » .
(٤) س : « وشرحت » .

مخلوق ، وادّعى من تركه الكلام فى ذلك واستعهاده أميرَ المؤمنين ؛ فقد كذب بشر فى ذلك وكفر ، وقال الزور والمنكر ، ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه فى ذلك ولا فى غيره عهدٌ ولا نظرٌ أكثر من إخباره أميرَ المؤْمنين من اعتقاده كلمةَ الإخلاص ، والقول بأنّ القرآن مخلوق ، فادعُ به إليك ، وأعلمه ما أعلمك به أميرُ المؤمنين من ذلك ، وأنصصْه عن قوله فى القرآن ، واستتبْه منه ؛ فإنّ أمير المؤمنين يرى أن تستتيب مَن قال بمقالته ؛ إذ كانت تلك المقالة الكفر الصّراح ، والشّرْك المحض عند أمير المؤمنين ؛ فإن تاب منها فأشهر أمره ، وأمسك عنه ؛ وإن أصرّ على شركه ، ودفع أن يكون القرآن مخلوقًا بكفره وإلحاده ، فاضرب عنقه ، وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه ؛ إن شاء الله .

وكذلك إبراهيم بن المهدىّ فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشراً ؛ فإنه كان يقول بقوله. وقد بلغتْ أميرَ المؤمنين عنه بوالغ ؛ فإن قال : إنّ القرآن مخلوق ١١٢٧/٣ فأشهرْ أمره واكشفه ؛ وإلاّ فاضرب عنقه وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه ؛ إن شاء الله .

وأما علىّ بن أبى مقاتل ، فقلْ له : ألستَ القائلَ لأمير المؤمنين : إنّك تُحلّل وتحرّم ، والمكلّم له بمثل ما كلّمتَه به ؛ مما لم يذهب عنه ذكره !

وأما الذّيال بن الهيثم ؛ فأعلمه أنه كان فى الطعام الذى كان يسرقه فى الأنبار[١] وفيما يستولى[٢] عليه من أمر مدينة أمير المؤمنين أبى العباس مايشغله ؛ وأنّه لوكان مقتفيًا آثار سلفه ، وسالكًا مناهجهم ، ومحتذيًا سبيلَهم[٣] لما خرج إلى الشرك بعد إيمانه .

وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبى العوّام ، وقوله إنه لا يحسن الجواب فى القرآن ، فأعلمه[٤] أنه صبىّ فى عقله لا فى سنّه ، جاهل ، وأنه إن كان[٥] لايحسن الجواب فى القرآن فسيُحسنه إذا أخذه التأديب ، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك ؛ إن شاء الله .

وأما أحمد بن حنبل وما تكتب عنه ؛ فأعلمه أنّ أمير المؤمنين قد عرف

(١) س : « بالأنبار » .
(٢) س : « استولى » .
(٣) س : « سبلهم » .
(٤) س : « فاعلم » .
(٥) ف : « أنكر » .

فحوى تلك المقالة وسبيلَه فيها ، واستدلّ على جهله وآفته بها .

وأما الفضلُ بن غانم ؛ فأعلمه أنه لم يخفَ على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر ، وما اكتسب من الأموال فى أقلّ من سنة ، وما شجَر بينه وبين المطّلب
٣/١١٢٨ ابن عبدالله فى ذلك ؛ فإنه مَنْ كان شأنه شأنَه ، وكانت رغبته فى الدّينار والدرهم رغبته ، فليس بمستنكَر[1] أن يبيع إيمانَه طمعًا فيهما ، وإيثاراً لعاجل نفعهما ، وأنه مع ذلك القائل لعلىّ بن هشام ما قال ، والمخالف له فيما خالفه فيه ؛ فما الذى حال به عن ذلك ونقله إلى غيره !

وأما الزّيادىّ ، فأعلمه أنه كان منتحلاً ، ولا كأوّل دَعىٍّ كان فى الإسلام خولف فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان جديراً أن يسلك مسلكه ، فأنكر أبو حسّان أن يكون مولًى لزياد أو يكون مولًى لأحد من الناس ؛ وذُكر أنه إنما نسب إلى زياد لأمر من الأمور .

وأما المعروف بأبى نصر التمّار ؛ فإن أمير المؤمنين شبّه خَساسة عقله بخساسة متجره .

وأما الفضل بن الفرّخان ، فأعلمه أنه حاول بالقول الذى قاله فى القرآن أخذ الودائع التى أودعها إياه عبدالرحمن بن إسحاق وغيره تربُّصًا بمن استودعه ، وطمعًا فى الاستكثار لما صار فى يده ، ولا سبيلَ عليه عن تقادم عهده ، وتطاول الأيام به ، فقلْ لعبد الرحمن بن إسحاق : لا جزاك الله خيراً عن تقويتك[2] مثل هذا واتّمانك[3] إياه ، وهو معتقد للشرك منسلخ من التوحيد .

وأما محمد بن حاتم وابن نوح والمعروف بأبى معمَر ؛ فأعلمهم أنهم
٣/١١٢٩ مشاغيل بأكل الرّبا عن الوقوف على التوحيد ، وأن أمير المؤمنين لو لم يستحلّ محاربتهم فى الله ومجاهدتهم إلا لإربائهم ، وما نزل به كتاب الله فى أمثالهم ، لاستحلّ ذلك ، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شِرْكًا ، وصار للنصارى مثلاً !

وأما أحمد بن شجاع ؛ فأعلمه أنك صاحبه بالأمس ، والمستخرج منه

---

(١) ف : « مستكثر » .
(٢) ف : « تقويتكم » .
(٣) س : « وإيمانك » .

ما استخرجتَه من المال الذى كان استحلّه من مال علىّ بن هشام ؛ وأنه ممّن الدينار والدرهم دينُه .

وأما سَعدويه الواسطىّ ، فقل له : قبح الله رجلا بلغ به التّصنّع للحديث ، والتزين به ، والحِرْص على طلب الرئاسة فيه ؛ أن يتمنّى وقت المحنة ، فيقول بالتقرّب بها متى يمتحن ، فيجلس للحديث !

وأما المعروف بسجّادة ، وإنكاره أن يكون سمع ممّن كان يجالس من أهل الحديث وأهل الفقه القول بأنّ[1] القرآن مخلوق ، فأعلمه أنه فى شغله بإعداد النّوى وحكّه لإصلاح سجادته وبالودائع التى دفعها إليه علىّ بن يحيى وغيره ما[2] أذهلَه عن التوحيد وألهاه ، ثم سله عما كان يوسف بن أبى يوسف ومحمد ابن الحسن يقولانه ؛ إن كان شاهدَهما وجالسهما .

وأما القواريرىّ ؛ ففيما تكشّف من أحواله وقبوله الرّشا والمصانعات ، ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته وسخافة عقله ودينه ؛ وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أنه يتولّى لجعفر بن عيسى الحسنىّ مسائله ، فتقدّم إلى جعفر بن عيسى فى رفضِه ، ٣/١١٣٠
وترك الثقة به والاستنامَة إليه .

وأما يحيى بن عبد الرحمن العمرىّ ؛ فإن[3] كان من ولد عمر بن الخطاب ، فجوابه معروف .

وأما محمد بن الحسن بن علىّ بن عاصم ، فإنه لو كان مقتدياً بمن مضى من سلَفه ، لم ينتحل النّحلة التى حُكيت عنه ، وإنه بعدُ صبىّ يحتاج إلى تعلم .

وقد كان أمير المؤمنين وجّه إليك المعروف بأبى مسهر بعد أن نصّه أميرُ المؤمنين عن محنته فى القرآن ، فجمجم عنها ولجلج فيها ، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف ، فأقرّ ذميماً ، فأنْصِصْه عن إقراره ؛ فإن كان مقيماً عليه فأشهرْ ذلك وأظهره ؛ إن شاء الله .

ومن لم يرجع عن شركه ممّن سميتَ لأمير المؤمنين فى كتابك ، وذكره

(١) ف : « من أن » . (٢) ف : « فما » . (٣) ف : « نابه » .

أمير المؤمنين لك، أو أمسك عن ذكره فى كتابه هذا؛ ولم يقل إن القرآن مخلوق، بعد بشر بن الوليد وإبراهيم بن المهدىّ فاحملهم أجمعين (١) موثَقين إلى عسكر أمير المؤمنين ، مع من يقوم بحفظهم وحراستهم فى طريقهم؛ حتى يؤدّيهم إلى عسكر أمير المؤمنين ، ويُسلِّمهم إلى مَنْ يؤمَن بتسليمهم إليه، لينصّهم أمير المؤمنين ؛ فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعًا على السيف ، إن شاء الله ، ولا قوّة إلا بالله .

وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابه هذا فى خريطة بُنداريّة ؛ ولم ينظر به
٣/١١٣١ اجتماع الكتب الخرائطيّة ، معجّلا به ، تقرُّباً إلى الله عزّوجلّ بما أصدر من الحكم ورجاء ما اعتمد، وإدراك ما أمّل من جزيل ثواب الله عليه؛ فأنفذ لما أتاك من أمر المؤمنين ، وعجّل إجابة أمير المؤمنين بما يكون منك فى خريطة بُنْداريّة مفردة عن سائر الخرائط ، لتعرّف أمير المؤمنين ما يعملونه إن شاء الله .

وكتب سنة ثمان عشرة ومائتين .

فأجاب القوم كلُّهم حين أعاد القول عليهم إلى أنّ القرآن مخلوق، إلاّ أربعة نفر ؛ منهم أحمد بن حنبل وسجّادة والقواريرىّ ومحمد بن نوح المضروب . فأمر بهم إسحاق بن إبراهيم فشُدّوا فى الحديد؛ فلما كان من الغد دعا بهم جميعاً يساقون فى الحديد ، فأعاد عليهم المحنة ، فأجابه سجّادة إلى أن القرآن مخلوق ، فأمر باطلاق قَيْده وخلّى سبيلَه ، وأصرّ الآخرون على قولهم ؛ فلمّا كان من بعد الغد عاودهم أيضا ، فأعاد عليهم القول، فأجاب القواريرىّ إلى أن القرآن مخلوق ، فأمر بإطلاق قيده ، وخلّى سبيله ، وأصرّ أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما ، ولم يرجعا ، فشُدّا جميعًا فى الحديد، ووُجّها إلى طَرَسُوس، وكتب معهما كتاباً بإشخاصهما ، وكتب كتابًا مفرداً بتأويل القوم فيما أجابوا إليه . فمكثوا أيامًا ، ثمّ دعا بهم فإذا كتابٌ قد ورد من المأمون على إسحاق بن إبراهيم ، أن قد فهم أمير المؤمنين ما أجاب القوم إليه ، وذكر
٣/١١٣٢ سليمان بن يعقوب صاحب الخبر أنّ بشر بن الوليد تأوّل الآية التى أنزلها الله تعالى فى عمار بن ياسر: ﴿ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مطمئنٌ بالإيمان ﴾(٢)

(١) ف : « جميعاً » .

(٢) سورة النحل ١٦٠

وقد أخطأ التأويل ؛ إنما عنى الله عزّ وجلّ بهذه الآية مَن كان[(١] معتقد الإيمان، مظهرَ الشرك[١)] ، فأما مَن كان معتقدَ الشرك مظهر الإيمان ؛ فليس هذه[٢] له . فأشخصهم جميعًا إلى طَرَسُوس ؛ ليقيموا بها إلى خروج أمير المؤمنين من بلاد الروم .

فأخذ إسحاق بن إبراهيم من القوم الكُفلاء ليوافُوا العسكر بطَرسوس ، فأشخص أبا حسان وبشر بن الوليد والفضل بن غانم وعليّ بن أبي مقاتل والذَّيال بن الهيثم ويحيى بن عبد الرحمن العمريّ وعليّ بن الجَعْد وأبا العوّام وسجّادة والقواريريّ وابن الحسن بن عليّ بن عاصم وإسحاق بن أبي إسرائيل والنّضْر بن شُميل وأبا نصر التمار وسعدويه الواسطيّ ومحمد بن حاتم بن ميمون وأبا معمَر وابن الهرْش وابن الفرُّخان وأحمد بن شجاع وأبا هارون بن البكّاء . فلما صاروا إلى الرّقة بلغتهم وفاة المأمون ؛ فأمر بهم عنبسة بن إسحاق — وهو والى الرّقة — أن يصيروا إلى الرّقة ، ثم أشخصهم إلى إسحاق بن إبراهيم بمدينة السلام مع الرسول المتوجّه بهم إلى أمير المؤمنين ، فسلّمهم إليه ، فأمرهم إسحاق بلزوم منازلهم ، ثم رخّص لهم بعد ذلك فى الخروج ، فأما بشر بن الوليد والذّيال وأبو العوّام وعلىّ بن أبى مقاتل ؛ فإنهم شخصوا من غير أن يؤذَن لهم حتى قدموا بغداد ، فلقوا من إسحاق بن إبراهيم فى ذلك أذًى ، وقدم الآخرون ١١٣٣/٣
مع رسول إسحاق بن إبراهيم ؛ فخلى سبيلهم .

* * *

[كتب المأمون إلى عماله ووصيته فى كتبه]

وفى هذه السنة نُفّذت كتبُ المأمون إلى عمّاله فى البلدان : من عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده أبى إسحاق بن أمير المؤمنين الرّشيد . وقيل إنّ ذلك لم يكتبه المأمون كذلك ؛ وإنما كتب فى حال إفاقة من غَشْيَةٍ أصابته فى مرضه بالبَدَنْدُون[٣] ، عن أمر المأمون إلى

(١ — ١) س : « معتقداً الإيمان مظهراً للشرك » . (٢) ف : « هذا » .

(٣) فى ياقوت : « بدندون ، بفتحتين وسكون النون ودال مهملة وواو ساكنة ونون : قرية بينها وبين طرطوس يوم من بلاد الثغر ، مات بها المأمون ، فنقل إلى طرسوس ، ودفن بها » .

العباس بن المأمون ، وإلى إسحاق وعبد الله بن طاهر ؛ أنه إن حدَث به حدَث الموت فى مرضه هذا، فالخليفة من بعده أبو إسحاق بن أمير المؤمنين الرّشيد . فكتب بذلك محمد بن داود ، وختم الكتب وأنفذها .

فكتب أبو إسحاق إلى عمّاله : من أبى إسحاق أخِى أمير المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين.

فورد كتاب من أبى إسحاق محمد بن هارون الرشيد إلى إسحاق بن يحيى بن مُعاذ عامله على جند دمَشق يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلتْ من رجب، عنوانه : من عبدالله عبدالله الإمام المأمون أمير المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين أبى إسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد : أما بعد ؛ فإنّ أميرَ المؤمنين أمر بالكتاب إليك فى التقدّم إلى عمالك فى حسن السيرة وتخفيف المئونة وكف الأذى عن أهل عملك ، ١١٣٤/٣
فتقدّم إلى عمّالك فى ذلك أشدّ التقدمة ، واكتب إلى عمّال الخراج بمثل ذلك .

وكتب إلى جميع عمّاله فى أجناد الشأم؛ جند حِمْص والأردنّ وفلسطين بمثل ذلك ؛ فلما كان يوم الجمعة لإحدى عشرة بقيتْ من رجَب صلى الجمعة إسحاق بن يحيى بن مُعاذ فى مسجد دمشق، فقال فى خطبته بعد دعائه لأمير المؤمنين : اللهمّ وأصلح الأميرَ أخا المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين أبا إسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المأمون]

وفى هذه السنة توفّىَ المأمون .

• ذكر الخبر عن سبب المرض الذى كانت فيه وفاته :

ذُكر عن سعيد العلاّف القارئ ، قال : أرسل إلىّ المأمون وهو ببلاد الرّوم – وكان دخلَها من طَرسُوس يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة – فحُملتُ إليه وهو فى البَدَندون ؛ فكان يستقرئنى ، فدعانى يومـًا، فجئتُ فوجدتُه جالسـًا على شاطئ البَدَنْدُون ، وأبو إسحاق المعتصم جالس عن يمينه ، فأمرنى فجلست نحوه منه ؛ فإذا هو وأبو إسحاق مدلّيان

أرجلهما فى ماء البَدَنْدُون ، فقال : يا سعيد ، دَلّ رجليْك فى هذا الماء ١١٣٥/٣
وذقه ؛ فهل رأيت ماء قطّ أشد برداً ، ولا أعذب ولا أصفى صفاء منه !
ففعلت وقلت : يا أميرَ المؤمنين ، ما رأيت مثل هذا قطّ ، قال : أىّ شىء يطيب
أن يؤكل ويشرب هذا الماء عليه ؟ فقلت : أمير المؤمنين أعلم ، فقال : رُطَب
الآزاذ [١] ؛ فبينا هو يقول هذا إذا سمع وقع لجُم البريد فالتفتَ ، فنظر
فإذا بغالٌ من بغال البريد ، على أعجازها حقائب فيها الألطاف ، فقال لخادم
له [٢] : اذهب فانظر : هل فى هذه الألطاف رُطَب ؟ فانظره ، فإن كان آزاذ فأت
به ؛ فجاء يسعى بسلّتين فيهما رطب آزاذ ، كأنما جُنِى من النخل تلك
الساعة ؛ فأظهر شكراً لله تعالى ؛ وكثُر تعجُّبُنا منه ، فقال : ادن فكل ،
فأكل هو وأبو إسحاق ، وأكلت معهما ، وشربْنا جميعًا من ذلك الماء ؛ فما
قام منا أحد إلا وهو محمومٌ ؛ فكانت منيّة المأمون من تلك العلّة ؛ ولم يزل
المعتصم عليلاً حتّى دخل العراق ، ولم أزل عليلا حتّى كان قريباً .

ولما اشتدّت بالمأمون علّته بعث إلى ابنه العباس ، وهو يظنّ أن لن يأتيَه ،
فأتاه وهو شديد المرض متغيّر العقل ، قد نُفّذت الكتب بما نُفذت له [٣] فى
أمر أبى إسحاق بن الرشيد ، فأقام العباس عند أبيه أيامًا ، وقد أوصى قبل ذلك
إلى أخيه أبى إسحاق . ١١٣٦/٣

وقيل : لم يوصِ إلاّ والعباس حاضر ، والقضاة والفقهاء والقوّاد والكتاب ؛
وكانت وصيته : هذا ما أشهد عليه عبدالله بن هارون أمير المؤمنين بحضْرة
مَنْ حضره ؛ أشهدهم جميعًا على نفسه أنه يَشهد ومَنْ حضره أن الله عز
وجلّ وحده لا شريك له فى ملكه ، ولا مدبّر لأمره غيره ، وأنه خالقٌ وما سواه
مخلوق ، ولا يخلو القرآن أن يكون شيئًا له مثل ؛ ولا شىء مثله تبارك وتعالى ،
وأن الموت حقّ ، والبعث حقّ ، والحساب حقّ ، وثواب المُحسن الجنة وعقاب
المُسىء النار ، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد بلّغ عن ربّه شرائعَ دينه ،
وأدّى نصيحته إلى أمته ؛ حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه أفضلَ صلاة

(١) ذكره الجواليقى فى المعرب ٣٤ (٢) ف : « لغلام من غلمانه » .
(٣) ف : « فيه من » .

صلاّها على أحد من ملائكته المقرّبين وأنبيائه والمرسلين ، وأنى مقرّ مذنب ، أرجو وأخاف ؛ إلا أنّى إذا ذكرت عفوَ الله رجوتُ ؛ فإذا أنا متّ فوجّهونى وغمّضونى ، وأسبغوا وَضوئى وطهورى ، وأجيدوا كفنى ؛ ثم أكثروا حمْد الله على الإسلام ومعرفة حقه عليكم فى محمد ؛ إذ جعلنا من أمّته المرحومة ، ثم أضجعونى على سريرى ، ثم عجّلوا بى ؛ فإذا أنتم وضعتمونى للصلاة ؛ فليتقدّم بها من هو أقربكم بى نسبًا ، وأكبركم سنًّا ، فليكبّر خمسًا ، يبدأ فى الأولى فى أولها بالحمد لله والثناء عليه والصّلاة على سيدى وسيد المرسلين جميعًا ، ثم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات ؛ الأحياء منهم والأموات ، ثم الدّعاء للذّين سبقونا بالإيمان ، ثم ليكبّر الرابعة ، فيحمد الله ويهلّله ويكبّره ويسلم فى الخامسة ، ثم أقلّونى ٣/١١٣٧ فأبلغوا بى حفرتى ، ثم لينزل أقربكم إلىّ قرابةً ، وأودّكم محبة ، وأكثروا من حمد الله وذكره ، ثم ضعونى على شقّى الأيمن واستقبلوا بىَ القبلةَ ، وحلّوا كفنى عن رأسى ورجلىّ ، ثم سدّوا اللحد باللّبِن ، واحثوا ترابًا علىّ[1] ، واخرجوا عنى وخلّونى وعملى ؛ فكلكم لا يغنى عنى شيئاً ، ولا يدفع عنى مكروهًا ، ثم قفوا بأجمعكم فقولوا[2] خيراً إن علمتم ، وأمسكوا عن ذكر شرّ إن كنتم عرفتم ، فإنى مأخوذٌ من بينكم بما تقولون وما تلفظون به ، ولا تدعوا باكيةً عندى ؛ فإن المعوَل عليه يعذّب . رحمَ الله امرأ اتّعظ وفكر فيما حتّم الله على جميع خلقه من الفناء ، وقضى عليهم من الموت الذى لا بدّ منه ، فالحمد لله الذى توحّد بالبقاء ، وقضى على جميع خلقه الفناء . ثم لينظر ما كنتُ فيه من عزّ الخلافة ؛ هل أغنى ذلك عنى شيئًا إذ جاء أمر الله ! لا والله ، ولكن أضعف علىّ به الحسابُ ، فياليت عبد الله بن هارون لم يكن بشرًا ، بل ليته لم يكن خلقًا ! يا أبا إسحاق ، ادنُ منّى ، واتّعظ بما ترى ، وخذ بسيرة أخيك فى القرآن ، واعمل فى الخلافة إذا طوّقكها الله عمل المريد لله ، الخائف من عقابه وعذابه ؛ ولا تغترّ بالله ومهلته[3] ؛ فكأنْ قد نزل بك الموت . ولا تغفل أمر الرّعيّة . الرعيةَ الرعيةَ ! العوامّ العوامّ ! فإن الملْك ٣/١١٣٨ بهم وبتعهّدك[4] المسلمين والمنفعة لهم . اللهَ اللهَ فيهم وفى غيرهم من المسلمين !

---

(١) ف : « التراب » . (٢) س : « وقولوا » .
(٣) س وابن الاثير : « وتمهيله » . (٤) ف : « وتعهلك » .

ولا يُنهيَنَّ إليك أمر فيه صلاح للمسلمين (١) ومنفعة لهم إلا قدّمته وآثرته على غيره من هواك ، وخذ من أقويائهم لضعفائهم ، ولا تحمل عليهم فى شىء ، وأنصف بعضهم من بعض بالحقّ بينهم ، وقرّبهم وتأنّهم ، وعجل الرّحلة عنّى ، والقدوم إلى دار مُلْكِك بالعراق ، وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم فى كل وقت . والخُرَّمية فأغزهم ذا حزامة وصرامة وجلَد ، وأكْنِفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرّجالة ؛ فإن طالت مدتهم فتجرّد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك ، واعمل فى ذلك عمل مقدّم النّيّة فيه ، راجيًا ثواب الله عليه . واعلم أنّ العِظة إذا طالت أوجبتْ على السامع لها والموصى بها الحجّة ؛ فاتق الله فى أمرك كله ، ولا تُفْتَنَن .

ثم دعا أبا إسحاق بعد ساعة حين اشتدّ به الوجَع ، وأحسّ بمجىء أمر الله فقال له : يا أبا إسحاق ، عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومنّ بحق الله فى عباده ، ولتؤثرنّ طاعته على معصيته ؛ إذ أنا (٢) نقلتُها من غيرك إليك ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فانظر مَنْ كنت تسمعنى أقدّمه على لسانى فأضعِف له التّقدمة ؛ عبد الله بن طاهر أقرّه على عمله ولا تهجْه ، ١١٣٩/٣
فقد عرفتَ الذى سلفَ منكما أيام حياتى وبحضرتى ، استعطفه بقلبك ، وخُصّه ببرّك ، فقد عرفتَ بلاءه وغَنَاءه عن أخيك . وإسحاق بن إبراهيم فأشرِكْه فى ذلك ؛ فإنه أهلٌ له . وأهل بيتك ، فقد علمتَ أنه لابقيّة فيهم وإن كان بعضهم يظهر الصّيانة لنفسه . عبد الوهاب عليك به من بين أهلك ، فقدّمه عليهم ، وصيّر أمرهم إليه . وأبو عبد الله بن أبى داود فلا يفارقْك ، وأشركه فى المشورة فى كلّ أمرك ؛ فإنه موضع لذلك منك ، ولا تتخذنّ بعدى وزيراً تلقى إليه شيئاً ؛ فقد علمتَ ما نكبنى به يحيى بن أكثم فى معاملة الناس وخبْث سيرته (٣) حتى أبان الله ذلك منه فى صحّة منى ، فصرتُ إلى مفارقته ! قالياً له غير راضٍ بما صنع فى أموال الله وصدقاته ، لا جزاه الله عن الإسلام خيراً ! وهؤلاء بنو عمّك من ولد أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ،

---

(١) ف : « المسلمين » . (٢) س وابن الأثير : « إذا » .
(٣) ف : « سريرته » .

فأحسن صحبتَهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، واقبَلْ من محسنهم ، وصِلاتهم فلا تغفلْها فى كلّ سنة عند محلِّها ، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتّى . اتقوا الله ربكم حقّ تقاتِه ولا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون. اتقوا الله واعملوا له، اتقوا الله فى أموركم كلها . أستودعكم[١] الله ونفسي وأستغفر الله مما سلف، وأستغفر الله

١١٤٠/٣ مما كان مني ، إنه كان غفاراً ، فإنه ليَعْلمُ كيف ندمِي على ذنوبى ، فعليه توكلت من عظيمها[٢] ، وإليه أنيب ولا قوّة إلا بالله، حسبي الله ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد نبيّ الهدى والرحمة !

* * *

ذكر الخبر عن وقت وفاته والموضع الذى دفن فيه ومَنْ صلّى عليه ومبلغ سنّه وقَدْر مدة خلافته

قال أبو جعفر[٣] : وأما وقت وفاته، فإنه اختُلف فيه ، فقال بعضهم : توفِّىَ يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيتْ من رجب بعد العصر سنة ثمان عشرة ومائتين .

وقال آخرون : بل توفِّىَ فى هذا اليوم مع الظهر ، ولما توفِّىَ حمله ابنُه العباس وأخوه أبو إسحاق محمد بن الرشيد إلى طَرَسوس ، فدفناه[٤] فى دار كانت لخاقان خادم الرشيد، وصلّى عليه أخوه أبو إسحاق المعتصم ، ثم وكّلوا[٥] به حرَسًا من أبناء أهل طَرَسوس وغيرهم مائة رجل، وأُجْرِىَ على كلّ رجلٍ منهم تسعون درهمًا .

وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يومًا ؛ وذلك سوى سنتين كان دُعِىَ له فيهما بمكة وأخوه الأمينُ محمد بن الرّشيد محصور ببغداد .

وكان ولد للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة .

---

(١) ابن الأثير ، ف : « استودعتكم » .
(٢) س : « عظمها » .
(٣) من ف
(٤) س : « ودفناه » .
(٥) ف : ووكلوا » .

بنو كلاب فى الحبس لا يجرى عليهم شىءٌ مدّةَ غيبة بُغا ؛ حتى رجع [١] ١٣٤٣/٣
إلى المدينة ، فلما صار إلى المدينة أرسل إلى مَنْ كان استحلف من ثعلبة وأشجع وفَزارة فلم يجيبوه ، وتفرّقوا فى البلاد ، فوجّه فى طلبهم فلم يلحق منهم كثير أحد .

* * *

[ذكر مقتل أحمد بن نصر الخزاعى على يد الواثق]

وفى هذه السنة تحرّك ببغداد قومٌ فى رَبَض عمرو بن عطاء ، فأخذوا على أحمد بن نصر الخُزاعىّ البيعة .

• ذكر الخبر عن سبب حركة هؤلاء القوم وما آل إليه أمرهم وأمر أحمد بن نصر :

وكان السبب فى ذلك أنّ أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخُزاعىّ — ومالك بن الهيثم أحد نقباء بنى العبّاس ، وكان ابنه أحمد يغشْاه أصحاب الحديث ؛ كيحيى بن مَعين وابن الدَّوْرَقىّ وابن خَيْثمة ، وكان يُظهر المباينة لمن يقول : القرآن مخلوق ؛ مع منزلة أبيه كانت من السلطان فى دولة بنى العباس ، ويبسط لسانه فيمن يقول ذلك ، مع غِلْظة الواثق كانت على من يقول ذلك وامتحانه إياهم فيه ، وغلبة أحمد بن أبى دواد عليه — فحدثنى بعض أشياخنا [٢] ، عمّن ذكره ، أنه دخل على أحمد بن نصر فى بعض تلك الأيام وعنده جماعة من الناس ، فذُكر عنده الواثق ، فجعل يقول : ألاّ فعل
هذا الخنزير [٣] ! أو قال : هذا الكافر ؛ وفشا ذلك من أمره ، فخُوّف ١٣٤٤/٣
بالسلطان [٤] ، وقيل له : قد اتّصل أمرُك به ، فخافه .

وكان فيمن [٥] يغشاه رجل — فيما ذكر — يعرف بأبى هارون [٦] السرّاج وآخر يقال له طالب ، وآخر من أهل خُراسان من أصحاب إسحاق بن إبراهيم بن

(١) س : « قدم » .
(٢) د،س : « شيوخنا » .
(٣) س : « ألا فعل الله بهذا الخنزير » .
(٤) د،ف : « فخوف السلطان » .
(٥) ف : « ممن » .
(٦) ف : « يقال له أبوهارون » .

مُصعب صاحب الشرْطة ممّن يظهر له القول بمقالته ، فحرّك المطيفون به — يعنى أحمد بن نصر — من أصحاب الحديث ، وممّن ينكر القول بخلْق القرآن من أهل بغداد — أحمد ، وحملوه على الحركة لإنكار القول بخلْق القرآن ، وقصدوه بذلك دون غيره ؛ لما كان لأبيه وجدّه فى دولة بنى العباس من الأثَر ، ولِمَا كان له ببغداد ، وأنه كان أحدَ مَنْ بايع له أهل الجانب الشرقىّ على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والسمع له فى سنة إحدى ومائتين ، لمّا كثُر الدّعّار بمدينة السلام ، وظهر بها الفساد والمأمون بخراسان ؛ وقد ذكرنا خبره فيما مضى . وأنه لم يزل أمره على ذلك ثابتاً إلى أن قدم المأمون بغداد فى سنة أربع ومائتين ، فرجوا استجابة العامة له إذا هو تحرّك للأسباب التى ذكرت .

فذكر أنه أجاب من سأله ذلك ؛ وأنّ الذى كان يسعى نه فى دعاء الناس له الرجلان اللذان ذكرت اسميهما[1] قبل. وإن أبا هارون السرّاج وطالباً فرّقا فى قوم مالا ، فأعطيا كلّ رجل منهم ديناراً ديناراً ، وواعداهم ليلةً يضربون فيها الطبْل للاجتماع فى صبيحتها للوثوب بالسلطان ؛ فكان طالب بالجانب ١٣٤٥/٣
الغربىّ من مدينة السّلام[2] فيمن عاقده على ذلك ، وأبو هارون بالجانب[3] الشرقىّ فيمن عاقده عليه ؛ وكان طالب وأبو هارون أعطيا فيمَنْ أعطيا[4] رجلين من بنى أشرس القائد دنانير يفرّقانها فى جيرانهم ، فانتبذ بعضُهم نبيذاً ، واجتمع عدّة منهم على شربه ، فلمّا ثملوا ضربوا بالطبل[5] ليلة الأربعاء قبل الموعد بليلة ؛ وكان الموعد لذلك ليلة[6] الخميس فى شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، لثلاث تخلو[7] منه ، وهم يحسبونها ليلة الخميس التى اتّعدوا لها ، فأكثروا ضرب الطبْل ، فلم يجبهم أحد . وكان إسحاق بن إبراهيم غائباً عن بغداد وخليفته بها أخوه محمد بن إبراهيم ، فوجّه إليهم محمد بن إبراهيم غلاماً له يقال له رَحش ، فأتاهم فسألهم عن قصّتهم ، فلم يظهر له أحد ممن ذكر بضرب الطبْل ، فدُلّ على رجل يكون فى الحمامات مصاب بعينه ، يقال له

(١) ط : « أسماها » ، وما أثبته من ا
(٢) ف : « بغداد » .
(٣) ف : « فى الجانب » .
(٤) بعدها فى ف : « ذلك » .
(٥) ف : « الطبل » .
(٦) ف : « يوم الخميس » .
(٧) س : « خلون » .

عيسى الأعور ، فهدّده بالضرب ، فأقرّ على ابنى أشرس وعلى أحمد بن نصر بن مالك وعلى آخرين سمّاهم ، فتتبّع القوم من ليلتهم ؛ فأخذ بعضهم ، وأخذ طالباً ومنزلُه فى الرَّبض من الجانب الغربى ، وأخذ أبا هارون السرّاج ومنزله فى الجانب الشرقىّ ، وتتبّع مَنْ سمّاه عيسى الأعور فى أيام وليال ، فصُيِّروا فى الحبس فى الجانب الشرقىّ والغربىّ ، كلٌّ قوم فى ناحيتهم التى أخِذوا فيها ، وقيِّد ١٣٤٦/٣
أبو هارون وطالب بسبعين[1] رِطلاً من الحديد كلّ واحد منهما ، وأصيب فى منزل ابنى أشرس عَلَمان أخضران فيهما حُمرة فى بئر ، فتولّى إخراجهما رجلٌ من أعوان محمد بن عيّاش – وهو عامل الجانب الغربىّ، وعامل الجانب الشرقىّ العباس بن محمد بن جبريل القائد الخراسانى – ثم أخِذ خصىّ لأحمد ابن نصر فتُهُدِّد ، فأقرّ بما أقرّ به عيسى الأعور ، فمضى إلى أحمد بن نصر وهو فى الحمّام ، فقال لأعوان السلطان : هذا منزلى ؛ فإن أصبتم فيه عَلَماً أو عُدّة أو سلاحاً لفتنة فأنتم فى حِلّ منه ومن دمِى ؛ ففتش فلم يُوجد فيه شىء ، فحمِل إلى محمد بن إبراهيم بن مصعب وأخذوا خصيّين وابنين له ورجلاً ممن كان يغشاه يقال له إسماعيل بن محمد بن معاوية بن بكر الباهلىّ ، ومنزله بالجانب الشرقىّ ، فحمِل هؤلاء الستة إلى أمير المؤمنين الواثق وهو بسامرّا على بغال بأكُفٍ ليس تحتهم وطاء ، فقيِّد[2] أحمد بن نصر بزوج قيود ، وأخرِجوا من بغداد يوم الخميس لليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وكان الواثق قد أعلِم[3] بمكانهم ، وأحضر[4] ابن أبى دواد وأصحابه ، وجلس لهم مجلساً عامّاً ليُمتحنوا امتحاناً مكشوفاً ، فحضر القوم واجتمعوا عنده .

وكان أحمد بن أبى دواد – فيما ذكر – كارهاً قتله فى الظاهر ؛ فلما أتِىَ ١٣٤٧/٣
بأحمد بن نصر لم يناظره الواثق فى الشَّغْب ولا فيما رُفع[5] عليه من إرادته الخروج عليه ؛ ولكنه قال له : يا أحمد ، ما تقول فى القرآن ؟ قال : كلام الله – وأحمد بن نصر مستقتل[6] قد تنوّر وتطيّب ، قال : أفمخلوق هو ؟ قال : هو

---

(١) د، ف : « بتسعين » .
(٢) س : « مقيدا » .
(٣) ف : « علم » .
(٤) ف : « أحضروا » .
(٥) ف : « روى » .
(٦) ف : « مستقيل » .

كلام الله ، قال : فما تقول فى ربّك ، أتراه يوم القيامة ؟ قال : يا أمير المؤمنين جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ترونْ ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته » ؛ فنحن على الخبر . قال : وحدثنى سفيان ابن عيينة بحديث يرفعه : « أن قلب ابن آدم بين إصبعيْن من أصابع الله يقلّبه » ؛ وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يدعو : « يا مقلّب القلوب ، ثبّت قلبي على دينك » ؛ فقال له إسحاق بن إبراهيم : ويلك ! انظر ماذا تقول ! قال : أنت أمرتنى بذلك ؛ فأشفق إسحاق من كلامه ، وقال : أنا أمرتُك بذلك ! قال:نعم ، أمرتَنى أن أنصح له إذ كان أمير المؤمنين ، ومِنْ نصيحتى [١] له ألاّ يخالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الواثق لمن حوله : ما تقولون فيه ؟ فأكثروا ، فقال عبد الرحمن بن إسحاق — وكان قاضياً على الجانب الغربىّ فعزِل ؛ وكان حاضراً وكان أحمد بن نصر ودّاً له — : يا أمير المؤمنين ؛ هو حلال الدّم ، وقال أبو عبد الله الأرمنّى صاحب ابن أبى دواد : اسقنى دمَه
١٣٤٨/٣ يا أمير المؤمنين ، فقال الواثق : القتل يأتى على ما تريد ، وقال ابن أبى دواد: يا أميرَ المؤمنين كافر يُستتاب ؛ لعلّ به عاهة أو تغيُّر [٢] عقل — كأنه كره أن يقتَل بسببه — فقال الواثق : إذا رأيتمونى قد قمتُ إليه ، فلا يقومنّ أحد معى ، فإنى أحتسب خُطاى إليه . ودعا بالصّمصامة — سيف عمرو بن معد يكرب الزّبيدىّ وكان فى الخزانة ، كان أهدِى إلى موسى الهادى ، فأمر سَلْماً الخاسر الشاعر أن يصفه له ، فوصفه فأجازَه — فأخذ الواثق الصّمصامة — وهى صفيحة موصولة من أسفلها مسمورة بثلاثة مسامير تجمع بين الصّفيحة والصلة [٣] — فمشى إليه وهو فى وسط الدار ، ودعا بنطع فصيِّر فى وسطه ، وحبْل فشُدّ رأسه ، ومُدّ الحبل ، فضربه الواثق ضربة ، فوقعت على حبل العاتق ، ثم ضربه أخرى على رأسه ، ثم انتضى سيمَا الدمشقىّ سيفه ، فضرب عنقه وحزّ رأسه .

وقد ذُكر أن بُغا الشرابىّ ضربه ضربة أخرى ، وطعنه الواثق بطرف

---

(١) ابن الأثير : « فنصيحتى » . (٢) ابن الأثير : « نقص » .

(٣) س : « وبين الصلة » وفى د : « الصفحة » .

الصَّمْصامة فى بطنه، فحمِل معترضًا حتى أتِىَ به الحظِيرة التى فيها بابك، فصلِب فيها وفى رجله زَوْج قيود ، وعليه سراويل وقميص، وحمِل رأسه إلى بغداد ، فنُصب فى الجانب الشرقىّ أياماً، وفى الجانب الغربىّ أياماً، ثم حوِّل إلى الشرقىّ ، وحُظر على الرأس حظيرة ، وضرِب عليه فسطاط ، وأقيم عليه الحرس ، وعرُف ذلك الموضع برأس أحمد بن نصر ؛ وكتب فى أذنه رُقْعة :

٣/١٣٤٩ هذا رأس الكافر المشرك الضالّ ؛ وهو أحمد بن نصر بن مالك؛ ممّن قتله الله على يدى عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين ، بعد أن أقام عليه الحجة فى خَلْق القرآن ونفى التشبيه ، وعرَض عليه التوبة ، ومكّنه من الرجوع إلى الحق ؛ فأبى إلا المعاندة والتصريح ، والحمد لله الذى عجّل به إلى ناره وأليم عقابه. وإنّ أمير المؤمنين سأله عن ذلك ؛ فأقرّ بالتشبيه وتكلّم بالكفر، فاستحلّ بذلك أمير المؤمنين دمه، ولعنه .

وأمر أن يُتتبع من وُسِم بصحبة أحمد بن نصر ؛ ممن ذُكر أنه كان متشايعاً له ؛ فوُضِعوا فى الحبوس، ثم جُعل نيِّف وعشرون رجلا و سُموا فى حبوس الظلمة ؛ ومُنعوا من أخذ الصدقة التى يُعطاها أهل السجون ، ومُنِعوا من الزُّوّار ، وثقّلوا بالحديد . وحمِل أبو هارون السراج وآخَرُ معه إلى سامرّا، ثم رُدُّوا إلى بغداد ، فجُعلوا فى المحابس .

وكان سبب أخذ الذين أخِذوا بسبب أحمد بن نصر ، أنّ رجلا قصّاراً كان فى الرَّبَض جاء إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فقال : أنا أدلّك على أصحاب أحمد بن نصر ، فوجّه معه من يتبعهم ؛ فلمّا اجتمعوا وجدوا على القصّار سبباً حبسوه معهم ؛ وكان له فى المِهْرِزار نخل، فقُطع وانتُهبَ[(١)]

٣/١٣٥٠ منزله ؛ وكان ممن حُبس بسببه قومٌ من ولد عمرو بن اسفنديار ، فماتوا فى الحبس ؛ فقال بعض الشعراء فى أحمد بن أبى دواد :

ما إنْ تحوّلتَ من إيادِ[(٢)] ... صِرْتَ عذاباً على العبادِ

---

(١) ف : « ونهب » .

(٢) ا : « أآن تحولت فى إياد » .

أنتَ كما قلتَ من إيادِ فارْفقْ بهذا الخلقِ يا إيادِى

• • •

وفى هذه السنة أراد الواثق الحجّ ، فاستعدّ له ، ووجّه عمر بن فرَج إلى الطريق لإصلاحه ، فرجع فأخبره بقلّة الماء فبدا له .

وحجّ بالناس فيها محمد بن داود بن عيسى .

وفيها ولّى الواثق جعفر بن دينار اليمن ، فشخص إليها فى شعبان . وحجّ هو وبُغا الكبير ، وعلى أحداث الموسم بُغا الكبير ؛ وكان شخوص جعفر إلى اليمن فى أربعة آلاف فارس وألفى راجل وأعطى رزق ستة[١] أشهر .

وعقد محمد بن عبد الملك الزيات لإسحاق بن إبراهيم بن أبى خَميصة مولى بنى قُشَير من أهل أضاخ فيها على اليمامة والبحرين وطريق مكة ، مما يلى البصرة فى دار الخلافة ؛ ولم يذكر أن أحداً عقد لأحد فى دار الخلافة إلاّ الخليفة غير محمد بن عبد الملك الزّيات .

وفى هذه السنة نقب قوم من اللصوص بيت المال الذى فى دار العامّة فى جوف القصر ، وأخذوا اثنين وأربعين ألفاً من الدراهم[٢] ؛ وشيئاً من الدنانير يسيراً ، فأخِذوا بعدُ وتتبع أخذهم يزيد الحلوانىّ ، صاحب الشرطة خليفة إيتاخ . ١٣٥١/٣

وفيها خرج محمد بن عمرو الخارجىّ من بنى زيد بن تغلب فى ثلاثة عشر رجلا فى ديار ربيعة ، فخرج إليه غانم بن أبى مسلم بن حُميد الطوسىّ ، وكان على حرب الموصل فى مثل عدّته ، فقتل من الخوارج أربعة ، وأخذ محمد ابن عمرو أسيراً فبعث به إلى سامرّا ، فبعث به إلى مطبَق بغداد ، ونُصبت رءوس أصحابه وأعلامه عند خشبة بابك .

وفى هذه السنة قدم وصيف التركىّ من ناحية أصبهان والجبال وفارس ؛ وكان شخص فى طلب الأكراد ، لأنهم قد كانوا تطرّقوا إلى هذه النواحى ، وقدم معه منهم بنحو من خمسمائة نفس ؛ فيهم غلمان صغار ، جمعهم فى قيود

(١) س : « سبعة » .
(٢) س : « ألف درهم » .

وأغلال ؛ فأمر بحبسهم ، وأجيز وصيف بخمسة وسبعين ألف دينار ، وقلّد سيفاً وكُسِيَ .

* * *

[خبر الفداء بين المسلمين والرّوم]

وفى هذه السنة ، تمّ الفداء بين المسلمين وصاحب الرُّوم ، واجتمع فيها المسلمون والرُّوم على نهر يقال له اللمس على سَلُوقيَة على مسيرة يوم من طَرَسُوس .

• ذكر الخبر عن سبب هذا الفداء وكيف كان :

ذُكر عن أحمد بن أبى قَحْطَبة صاحب خاقان الخادم — وكان خادم الرشيد ، وكان قد نشأ بالثغر — أنّ خاقان هذا قدِم على الواثق ، وقدم معه ١٣٥٢/٣ نفر[1] من وجوه أهل طَرَسوس وغيرها يشكون صاحب مظالم كان عليهم[2] ، يكنى أبا وهب ؛ فأحضِر ، فلم يزل محمد بن عبد الملك يجمع بينه وبينهم فى دار العامّة عند[3] انصراف الناس يوم الاثنين والخميس ، فيمكثون إلى وقت الظهر ؛ وينصرف محمد بن عبد الملك وينصرفون ، فعُزل عنهم[4] ، وأمر الواثق بامتحان أهل الثغور فى القرآن ، فقالوا بخلقه جميعاً[5] ؛ إلا أربعة نفر ؛ فأمر الواثق بضرب أعناقهم إن لم يقولوه ، وأمر لجميع أهل الثغور بجوائز على ما رأى خاقان ، وتعجّل أهلُ الثغور إلى ثغورهم ، وتأخّر خاقان بعدهم قليلا ؛ فقدم على الواثق رسلُ صاحب الروم — وهو ميخائيل بن توفيل بن ميخائيل ابن أليون بن جورجس — يسأله أن يفادِىَ بمن فى يده من أسارى المسلمين ، فوجّه الواثق خاقان فى ذلك ، فخرج خاقان ومَنْ معه فى فداء أسارى المسلمين فى آخر سنة ثلاثين ومائتين على موعد بين خاقان ورسل صاحب الرّوم للالتقاء للفداء فى يوم عاشوراء ؛ وذلك فى العاشر من المحرّم سنة إحدى وثلاثين

---

(١) س : « بقوم » .
(٢) ف : « عليها » .
(٣) س : « بعد انصراف الناس » .
(٤) س : « فعزله » .
(٥) ف : « جميعاً بخلقه » .

ومائتين . ثم عقد الواثق لأحمد بن سعيد بن سلْم بن قتيبة الباهلىّ على الثغور والعواصم ، وأمره بحضور الفداء ؛ (١فخرج على سبعة عشر من البُرُد١)
٣/١٣٥٣ وكان الرسل الذين قدموا فى طلب الفداء(٢) قد جرى بينهم وبين ابن الزّيات اختلاف فى الفداء ، قالوا(٣) : لا نأخذ فى الفداء امرأة عجوزاً ولا شيخاً كبيراً ولا صبيًّا ، فلم يزل ذلك بينهم أياماً حتى رضوا عن كلّ نفس بنفس .

فوجّه الواثق إلى بغداد والرّقة فى شرى مَنْ يباع من الرقيق من مماليك ، فاشترى مَنْ قدَر عليه منهم ، فلم تتمّ العدة ، فأخرج الواثق من قصره من النساء الروميات العجائز(٤) وغيرهنّ ؛ حتى تمّت العِدّة ، ووجّه ممن مع ابن أبى دواد رجلين ، يقال لأحدهما يحيى بن آدم الكرخىّ ، ويكنى أبا رملة ، وجعفر [بن أحمد] بن الحذّاء ؛ ووجّه معهما كاتباً من كتّاب العَرْض(٥) ، يقال له طالب بن داود ، وأمره بامتحانهم هو وجعفر ، فمن قال : القرآن مخلوق فودى به ، ومن أبى ذلك تُرك فى أيدى الروم ؛ وأمَرَ لطالب بخمسة آلاف درهم ؛ وأمر أن يعطوا جميع من قال : إن القرآن مخلوق ؛ ممن فُودِى به ديناراً لكل إنسان من ماله(٦) حُمل معهم ، فمضى القوم .

فذكر عن أحمد بن الحارث أنه قال : سألت ابن أبى قحطبة صاحب خاقان الخادم — وكان السفير الموجّه بين المسلمين والروم ، ووُجِّه(٧) ليعرف عدّة المسلمين فى بلاد الروم . فأتى ملك الروم وعرف عدّتهم قبل الفداء — فذكَر أنه بلغت عِدّتهم ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة ؛ فأمر الواثق بفدائهم ، وعجّل أحمد بن سعيد على البَريد ليكون الفِداء على يديه ، ووجّه
٣/١٣٥٤ من يمتحن الأسراء من المسلمين ، فمن قال منهم : إنّ القرآن مخلوق ، وإنّ الله عزّ وجلّ لا يُرَى فى الآخرة فُودى به ؛ ومن لم يقل ذلك ترك فى أيدى الرّوم ، ولم يكن فداء منذ أيام محمد بن زبيدة فى سنة أربع أو خمس وتسعين ومائة .

(١ – ١) ف : « فخرج فى خمسة عشر من البريد » .
(٢) ف : « للفداء » .
(٣) ف : « فقالوا » .
(٤) ف : « والعجائز » .
(٥) س : « من الكتاب » .
(٦) كذا فى ا ، وفى ط : « من مال » .
(٧) ف : « ووجه » .

قال : فلما كان يوم عاشوراء ، لعشر خلوْن من المحرم سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، اجتمع المسلمون ومَنْ معهم من العُلوج وقائدان من قوّاد الروم ؛ يقال لأحدهما أنقاس[١] وللآخر لمسنوس ، والمسلمون والمطوّعة فى أربعة آلاف بين فارس وراجل ، فاجتمعوا بموضع يقال له اللمس ؛ فذكر عن محمد بن أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلىّ أن كتاب أبيه أتاه ، أنّ من فُودِى به من المسلمين ومَنْ كان معهم من أهل ذمتهم أربعة آلاف وستمائة إنسان ؛ منهم صبيان ونساء ستمائة ؛ ومنهم من أهل الذّمة أقلّ من خمسمائة والباقون رجال من جميع الآفاق .

وذكر أبو قحطبة — وكان رسول خاقان الخادم إلى ملك الروم لينظر كم عدد الأسرى ، ويعلم صحّة ما عزم عليه ميخائيل ملك الروم — أنّ عدد المسلمين قبل الفداء كان ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة وصبىّ ، ممّن كان بالقسطنطينية وغيرها ؛ إلا مَنْ أحضره الرّوم ومحمد بن عبد الله الطرسوسىّ — وكان عندهم — فأوفده أحمد بن سعيد بن سلْم وخاقان مع نفر من وجوه ٣/١٣٥٥
الأسرى على الواثق ، فحملهم الواثق على فرس فرس ؛ وأعطى لكلّ رجل[٢] منهم ألف درهم .

وذكر محمد هذا أنه كان أسيراً فى أيدى الرّوم ثلاثين سنة ، وأنه كان أسِر فى غزاة رامية كان فى العلاّفة فأسِر ، وكان فيمن فُودى به فى هذا الفداء ، وقال : فودِىَ بنا فى يوم عاشوراء على نهر يقال له اللامس ، على سَلوقيَة قريباً من البحر ، وأنّ عِدتهم كانت أربعة آلاف وأربعمائة وستين نفساً[٣] ؛ النساء وأزواجهنّ وصبيانهنّ ثمانمائة وأهل ذمة المسلمين مائة أو أكثر ، فوقع الفداء كلّ نفس عن نفس صغيراً أو كبيراً ، فاستفرغ خاقان جميعَ مَنْ كان فى بلد الرّوم من المسلمين ممن علم موضعه .

قال : فلمّا جُمعوا للفداء ، وقف المسلمون من جانب النهر الشرقىّ والرّوم من الجانب الغربىّ — وهو مخاضة — فكان هؤلاء يرسلون من ها هنا رجلا وهؤلاء

---

(١) كذا فى ا ، س ، وفى باقى الأصول بدون نقط وما أثبته من ا .
(٢) ف : « لكل واحد » . (٣) ف : « إنساناً » .

من هاهنا رجلا ، فيلتقيان فى وسط النهر ، فإذا صار المسلم إلى المسلمين كبّر وكبّروا ، وإذا صار الرومىّ إلى الروم تكلم بكلامهم ، وتكلموا شبيهاً بالتكبير .

وذكر عن السندىّ مولى حسين الخادم ، أنه قال : عقد المسلمون جسراً على النهر ، وعقد الرُّوم جسراً ؛ فكنا نرسل الرومىّ على جسرنا ويرسل[1] الروم المسلم على جسرهم ؛ فيصير هذا إلينا وذاك إليهم ، وأنكر أن يكون مخاضَة .

١٣٥٦/٣ وذكر عن محمد بن كريم أنه قال : لما صرنا فى أيدى المسلمين ، امتحنَنَا جعفر ويحيى ، فقلنا ، وأعطينا دينارين دينارين .

قال : وكان البطريقان اللذان قدما بالأسرى لا بأس بهما فى معاشرتهما .

قال : وخاف الرّوم عدد المسلمين لقلّتهم وكثْرة المسلمين ؛ فآمنهم خاقان من ذلك ، وضرب بينهم وبين المسلمين أربعين يوماً لا يُغزَوْن حتى يصلوا إلى بلادهم ومأمنهم ؛ وكان الفداء فى أربعة أيام ، ففضل مع خاقان ممن كان أمير المؤمنين أعدّ لفداء المسلمين[2] عدّة كبيرة ، وأعطى خاقان صاحب الروم ممن كان قد فضل فى يده مائة نفس ؛ ليكون عليهم الفضل استظهاراً مكان مَنْ يخشى أن يأسروه من المسلمين إلى انقضاء المدّة ، وردّ الباقين إلى طَرَسوس ، فباعهم .

قال : وكان خرج معنا ممن كان تنصّر ببلاد الروم من المسلمين نحوٌ من ثلاثين رجلا فُودى بهم .

قال محمد بن كريم : ولما انقضت المدّة بين خاقان والرّوم الأربعون يوماً، غزا أحمد بن سعيد بن سلم بن قُتيبة ، فأصاب الناس الثلج والمطر ، فمات منهم قَدْرُ مائتى إنسان وغرِق منهم فى البَدَنْدُون قوم كثير ، وأسِر منهم نحو من مائتين ؛ فوجد أمير المؤمنين الواثق عليه لذلك ، وحصل جميع مَنْ مات وغرق خمسمائة إنسان ؛ وكان أقبل إلى أحمد بن سعيد وهو فى سبعة آلاف

(١) ط : « ويرسلون » .

(٢) ف : « عد للفداء من المسلمين » .

بِطِرْيق من عظمائهم فجبُن[1] عنه، فقال له وجوه الناس: إن عسكراً فيه ١٣٥٧/٣
سبعة آلاف لا يتخوّف عليه ؛ فإن كنت لا تواجه القوم فتطرّق بلادهم .
فأخذ نحواً من ألف بقَرة وعشرة آلاف شاة ، وخرج فعزله الواثق ، وعقد
لنصر بن حمزة الخُزاعيّ يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيتْ من جمادى الأولى
من هذه السنة .

• • •

وفى هذه السنة مات الحسن بن الحسين ، أخو طاهر بن الحسين بطبَرِستان
فى شهر رمضان .

وفيها مات الخطاب بن وجه الفُلْس .

وفيها مات أبو عبد الله الأعرابىّ الراوية يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت
من شعبان وهو ابن ثمانين سنة .

وفيها ماتت أم أبيها بنت موسى أخت علىّ بن موسى الرضىّ .

وفيها مات مخارق المغنى ، وأبو نصر أحمد بن حاتم راوية الأصمعىّ ، وعمرو
ابن أبى عمرو الشيبانىّ ومحمد بن سعدان النحوىّ .

---

(١) كذا فى د ، وهو الوجه ، وفى ط : « فحيز » .